المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبد الله الذي رسم للإنسانية أقوم طريق ، وسنَّ للأنام أحسنَ السُنن مما يحقق السلامة ويضمن السعادة ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

يحفلُ شعر المتنبي في كثير من أبياته حتى مطالع قصائده بالرموز الحيوانية، فحيناً يستنطقه (يقول بشعب بوّان حصاني) وحيناً يحاوره مستفهماً ، (أجارك يا أُسد الفراديس مكرمُ ؟) وتارة يجانس بينه وبين الليل في بيته المعروف (الخيل والليل والبيداء تعرفني) .

ولا شكَّ أنَّ الجانب الأكبر من رموز المتنبي يعود إلى أصل نفسي ، إذ إنَّ أسلوبه لم يأتِ ليشرح انفعاله بالموقف وإنما جاء ليعبّر عن هذا الانفعال مُلمحاً ورامزاً ، فرموز المتنبي هي المتنبي بعمق إحساسه وسعة خياله ورحابة تفكيره ، وقوة أدائه ، وسبك أسلوبه ، وجزالة ألفاظه ، وجودة تأليفه ، وحدة نفسه ، وثورة وجدانه ، وتمرد روحه ، وعنف حركته ورفض واقعه ، وتفاعله مع تجربته ، وهذا ماثل فيما توارد عليه من الحزن والفرح والألم والأمل والحب والبغض والرضا والغضب ، لذا تأتي رموزه لتكون متنفساً لرغباته وتمثيلاً لشعوره وتلبية لمتطلباته .

ولطالما ملأتني الرغبة بأن أغوص في بحر شاعر كبير كأبي الطيب المتنبي، وأن أبحث جانباً من جوانب حياته الأدبية والبلاغية ، فالمتنبي أذهل العقول وأتعب الأقلام ، ولا يزال يحظى باهتمام الدارسين وعنايتهم وما انفكَ يغريهم بالدراسة والبحث ويدفعهم إلى استجلاء أسراره وكشف مخبوءاته ، وقد شغل الناس بشعره قديماً وحديثاً ، أُلفت حوله المؤلفات واختصم حول مائدة أدبه الأدباء ، فانعقدت الدراسات المستفيضة على شخصه ومضامين شعره ودارت على شعره حركة نقدية واسعة فاتُهمَ ودوفعَ عنه ، لقد قُرِئَ المتنبي آلاف القراءات ، وشُرحت قصائده وحُلِّلَتْ ، وأُولتْ ولكن لم يدَّعِ ناقد أو دارس بأنه قال في تلك النصوص الكلمة

الأخيرة وما هذه الكلمة سوى واحدة من تلك الكلمات سـيأتي غيرهـا وغيرهـا .. وتغيب ويظل نص المتنبي قابلاً للقراءات والتأويل .

ويضاف إلى هذا كله إنَّ الدراسات الكثيرة التي أُنجزت عن المتنبي ليس فيها ما يشير إلى (الحيوان رمزاً في شعره) كظاهرة بارزة بحيث تفرد بدراسة مستقلة إلاّ ما وُجد متناثراً هنا وهناك ضمن دراسات محدودة .

هذا ما دفعني إلى الشروع بهذا البحث راجية من المـولى القـدير التوفيـق والسداد إنه سميعٌ مجيب .

بُني هذا البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

تناول التمهيد خمسة محاور : الحيوان في اللغة ، والحيـوان فـي القـرآن الكريم، والحيوان في الحديث النبوي الشريف ، والحيوان فـي الأمثـال العربيـة ، والحيوان في الشعر العربي قديماً حتى عصر شاعرنا .

أمّا الفصل الأول فقد وضعته تحت عنوان : الحيوان في البنـاء الـشعري ، وفيه مبحثان ، المبحث الأول / موسومٌ بـــ (الكثـرة والتنـوع) عرضـت فيـه الحيوانات التي تناولها المتنبي في شعره بأنواعها المختلفة ، وقد جعلتها سبعة أنواع، أولها الحيوانات الأليفة (حيوانات الصحراء) وتشمل (الخيل والإبل) وهي أكثـر حضوراً في شعر المتنبي ، عرضت هذين الحيوانين من حيث أسـماؤها وصـفاتها وضروب سيرها ، وألوانها وأصواتها وأسنانها وأجناسها وأنسابها ولوازمها وكل ما يمت إليها بصلة .

وثانيها : الحيوانات غير الأليفة وتشمل (الأسود ، والذئاب والثعالب والفهود والضباع وبنات أوى والوحوش الأخرى) ، وتطرقت إلى أسمائها وصفاتها وألوانها ولاسيّما الأُسود منها .

وثالثها : الحيوانات التي ذكرها الشاعر لغاية جمالية وتشمل الظباء بأسـمائها وأنواعها المختلفة (كالمها، والجؤذر ، والأرام ، والبقـر الوحـشي ، والخـشف ، والشادن، والغزال ، والرشا ، والخنساء ، والجداية) .

ورابعها : الطيور بأنواعهـا كالقطـا والحمـام ، والغـراب ، والـدرّاج ، والحبارى، والبوم ، واللقلق ، والحجل ، والسُّماني) .

ومن الطيور الأخرى سباعها وجوارحها (كالبازي ، والعُقاب ، والشاهين ، والصقر ، والنَّسر) .

وخامسها : طير النعام بأسمائه المختلفة (كالربـد ، والرئـال ، والنقنـق ، والفتخ) .

وسادسها : الزواحف ولاسـيّما (الحيّـات) بأشـكالها وألوانهـا المختلفـة (كالأفاعي ، والأراقم ، والأساود) .

أمّا سابعها : فقد ضمَّ حيوانات متفرقة وكانتْ أقلَّها حـضوراً فـي شـعره ، وصاحبَ عرض هذه الحيوانات دراسةٌ شعرية تحليلية .

هذا ما يخص المبحث الأول ، أما المبحث الثاني والموسوم بــــ " لوحـة الحيوان في قصيدة المتنبي " فقد تناولتُ فيه أبعاد حـضور الحيـوان فـي قـصيدة المتنبي، مهيمناً وطاغياً على الجو العام للقصيدة ، أم حاضراً في ثناياها ، وإن كان في ثناياها فأين موقعه: في مقدمتها أم في وسطها أم في خاتمتها أم كان مغيباً أو كاد أن يكون مغيّباً .

أمّا الفصل الثاني فعنوانه : الحيوان في مواقف الشاعر النفسية والاجتماعيـة (دراسة في الرمز والتحول) المبحث الأول (الرمز) فقد عرضتُ فيه الحيوانـات التي كان لها أثرٌ بارز في حياة المتنبي كالخيل التي تناولها رمـزاً للقـوة والـشدة والصلابة ، وهي رفيقة حلّه وترحاله ، ومثلها الناقة رمزٌ للصبر والتحمل والغربة ، والأسد يرى فيه رمزاً للقوة والبأس والشجاعة ، ويرى في الذئب رمزاً للظلم والمكر والخداع والثعلب رمزاً للعبث والفساد .

أمّا المبحث الثاني والموسوم بـــ (تحولات الحيوان فـي شـعر المتنبـي) عرضتُ فيه أربعة محاور : الحيوان صاحباً ، والحيوان جاراً ، والحيوان مكانـاً ، والحيوان عدواً مشفوعة بدراسة تحليلية لنصوص شعرية .

أمّا الفصل الثالث فقد جعلته تحت عنوان : الدراسة الفنيـــة ، وفيـــه ثلاثـــة مباحث، المبحث الأول : التركيب والبناء (المعاني) ، عرضتُ فيه دراسة لثلاثـــة أساليب : أُسلوب التقديم والتأخير ، وأُسلوب الذكر والحذف ، وأُســـلوب التعريـــف والتنكير ، مدعومة بأقوال الباحثين والنقاد القدماء منهم والمحدثين ، ورصدت مـــن خلالها أهم الأغراض البلاغية التي خرجت إليها تلك الأســـاليب الثلاثـــة ، مؤيـــدة بتحليل لكثير من الأبيات .

أمّا المبحث الثاني والموسوم بـــ : الصورة الفنية ، فقد انصب على دراســـة ثلاثة فنون من البيان وهي : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وهي محاور أساسية لدراسة الصورة الفنية ، مهدتُ لهذا المبحث بتوضيح لمفهوم الصورة لـــدى نقادنـــا القدماء منهم والمحدثين على الإطار العام أولاً ، والخاص لـــدى المتنبـــي ثانيـــاً ، وتعرضت لأقوال البلاغيين في التشبيه ، ووقفت عنـــد التـــشبيه المفـــرد والتـــشبيه التمثيلي والتشبيه البليغ ، والتشبيه الضمني ، والتشبيه المقلوب لنلحظ خـــصوصيات هذه الأشكال في بناء الصورة على نحوٍ متميز .

ثم انتقلتُ إلى دراسة الاستعارة على محاور ثلاثة : الاستعارة التـــصريحية، والاستعارة المكنية ، والاستعارة التمثيلية ، لما لكل محور من خصوصية فنية فضلاً عن التقائها في بؤرة الوظيفة الرئيسة لفن الاستعارة .

ثم تناولتُ الكناية من غير التزام بالمنهج البلاغي المتعارف عليه من تقسيمها إلى ثلاثة أنواع ، كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عـــن نـــسبة ، بـــل اهتممت بسمتها العامة في كونها إشارةً ورمزاً وإيماءً إلى أمور خفية وراء العبارة ، ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الكناية قد رصدت وهي متلاحمة مع التشبيه تـــارة ومـــع الاستعارة تارة أخرى حيث الممنا بالصورة الكلية .

أمّا المبحث الثالث والموسوم بـــ : المحسنات المعنوية واللفظية (البديع) فقد تناولتُ فيه الطباق والمقابلة والتضاد ، والمبالغة ، وحـــسن التعليـــل ، والتوريـــة ، والتجنيس ، هذه المحسنات مسندة بأقوال النقاد والباحثين ، وفـــي إطـــار التحليـــل للأبيات الشعرية .

وأعقبتُ هذه الفصول بخاتمة أوجزتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها .

وتلا الخاتمة ثبت المصادر والمراجع التي كان من أهمها ديوان المتنبي بشرح العكبري وشرح ابن جني المسمى بالفسَر ، وكتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري، وكتاب الحيوان للجاحظ ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، فضلاً عن مجموعة من كتب الأدب والبلاغة والنقد والتراجم والمعجمات .

ولا بُدَّ من أن يعترض كل بحث جملة من الصعوبات فكان من الصعوبات التي اعترضت رحلتي ، الحصول على المصادر والدراسات الخاصة بالموضوع لندرتها وشحتها ، ولاسيّما الدراسات الحديثة ، إذ أن أغلبها تناولت الحيوان وليس رمزه ، الأمر الذي دفعني إلى البحث عن هذه المصادر في دول أُخَر ولم أجد ضالتي فيما سعيتُ إليه ، هذا فضلاً عن الصعوبات التقليدية التي تعترض الباحثين ، غير أني بحمد الله وفضله ورحمته تجاوزتُ ذلك .

بقيَ أن اعترف أن هذا البحث يظلُّ ـ ككل عمل إنساني ـ قابلاً للزيادة مُعرَّضاً للنقصان ، ولم يكن هدف هذا البحث الاستقصاء والجمع أو إغلاق الطريق أمام الآخرين ، بل هو إضاءة متواضعة في طريق الأدب العربي عامة وشعر المتنبي خاصة ، والله الموفق إلى سواء السبيل .